العدد 11 صيف 2011

# الفن المعاصر

مجلة علمية فصلية محكمة - تصدر عن أكاديمية الفنون

العدد 12 خريف 2011

أكاديمية الفنون
ACADEMY OF ARTS

- المرأة المصرية على الشاشة السينمائية
- دور الموسيقى فى تعميق مفاهيم التعايش بين الحضارات
- الرقص الذى يؤدى فى القصور
- الألعاب الشعبية المصرية

- أسعد نديم ..
عاشق الفن الشعبى والحرف اليدوية

- زكى نجيب محمود ..
الفن بين النقد والتذوق

- متابعات فنية
مسرحية - سينمائية - تليفزيونية

مع العدد
ملحق ٢٥ يناير

# الفن المعاصر

# AL-FANN AL-MOASER

فصلية علمية محكمة

تصدر عن أكاديمية الفنون

# الفن المعاصر
# AL-FANN AL-MOASER

فصلية علمية محكمة

تصدر عن أكاديمية الفنون

أكاديمية الفنون
ACADEMY OF ARTS



## رئيس التحرير
أ.د سامح مهران

## مدير التحرير
أ.د حسن عطية

## مستشارو التحرير
حسب الترتيب الأبجدى

أ.د . أحمد مرسى
أ.د . جابر عصفور
أ.د . صلاح قنصوة
أ.د . عادل عفيفى
أ . على أبو شادى
أ.د . فوزى فهمى
أ.د . لندا فتح الله
أ.د . نهاد صليحة

التصميم والإخراج
هانى صبرى

المدير الإدارى
عبد الستار عمار

مراجعة لغوية
صفاء عباس

جمع وتصحيح
خالد الجندى
ميرفت عباس
أمانى العطار


## قواعد النشر بالمجلة

- المقالات والدرسات والمواد المقدمة للنشر بالمجلة تكتب خصيصا لها .
- تراعى القواعد العلمية المعمول بها فى كتابة المصادر والمراجع كما تراعى قوانين حماية الملكية الفكرية .
- تسلم أصول الصور والأشكال والرسوم والنوت الموسيقية مع الموضوعات .
- المادة المقدمة للنشر لا تعاد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر
- يخضع ترتيب الموضوعات لاعتبارات فنية .
- للمجلة مراجعة أصحاب المقالات والدراسات لإجراء تعديلات تراها المجلة ضرورية .
- الدراسات المقدمة من أعضاء هيئة التدريس تمهيدا لتقديمها للجان الترقيات تراجع فى شأنها القواعد المنظمة للتحكيم المعمول بها فى الأكاديمية .

## كتاب العدد

| | |
|---|---|
| الكويت | عبد الله الغيث |
| الأردن | مخلد نصير |
| | على فياض |
| السودان | عصام أبو القاسم |
| مصر | محمد عبد العزيز السيد |
| مصر | ثناء هاشم |
| مصر | هناء نجيب |
| السودان | الفاتح حسين أحمد |
| مصر | كمال يوسف على |
| مصر | حسام محسب |
| مصر | عطارد شكرى |
| مصر | محمد شيحة |
| مصر | حسن يوسف طه |
| مصر | عبد الفتاح غبن |
| مصر | حاتم حافظ |
| مصر | محمد سمير الخطيب |
| العراق | منصور نعمان نجم |

## ملحق العدد

العدد 11 صيف 2011

# الفن المعاصر

AL-FANN AL-MOASER

العدد 12 خريف 2011

## فى هذا العدد


- دعوة على العشاء ..... 07
- المخرج المغربى الطيب الصديقى ..... 13
- حركة المسرح السودانى اليوم ..... 39
- دلالة المكان فى الفيلم البوليسى ..... 55
- المرأة المصرية على الشاشة السينمائية ..... 75
- الرقص الذى يؤدى فى القصور ..... 109
- راهن النقد الموسيقى السودانى ..... 131
- دور الموسيقى فى تعميق مفاهيم التعايش بين الشعوب ..... 149
- الألعاب الشعبية المصرية رؤية تصنيفية ..... 167
- مأساة البطل بين الحقيقة التاريخية والخيال الفنى المسرحى ..... 203
- أسعد نديم... عاشق الفن الشعبى والحرف اليدوية ..... 233
- أحمد الفار ... المسرحية الهزلية عند نجيب الريحانى ..... 241
- زكى نجيب محمود ... الفن بين النقد والتذوق ..... 257
- جورج أبيض ... وقصته مع الحياة والفن والمسرح الذى أحبه ..... 271
- الخطيب والحفر فى مفاهيم المسرح التجريبى ..... 289
- تقنية التناص فى الخطاب المسرحى ..... 293
- المونتاج فى النص المسرحى ..... 301

5

55

107

129

165

231

287

299

317

357 341 319

**تنويه :**

المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلة .

قيمة الأشتراك السنوى : داخل مصر (٤٠ جنيهاً) – الدول العربية (٤٠ دولار) – أوروبا (٥٠ دولار) – أمريكا (٦٥ دولار).

ترسل الاشتراكات بحوالة بريدية حكومية باسم : السيد أمين عام أكاديمية الفنون (شارع جمال الدين الأفغانى– الهرم – الجيزة – جمهورية مصر العربية.... للأستفسار : تليفاكس : ٠٢٣٥٦٢٤٣٩١.

URL: www.aoa.edu.eg E.mail : alfann–almoaser@aoa.edu.eg

# فى البدء تكون الكلمة

## ثم يجيء فعل الإبداع

خططنا لهذين العددين الصادرين فى مجلد واحد ، كى يصدر أولاهما فى شتاء العام الماضى ، ويصدر ثانيهما فى ربيع هذا العام ، غير أن تفجر أحداث الواقع العربى الثائرة ، رحلت صدورهما، وجمعت بينهما ، كى تتاح لقارئهما فرصة قراءتهما على ضوء ما حدث ومازال يحدث، وقراءة ما حدث ويحدث عبر أفكار كتاباتهما وأساليبهم · فالقراءة النقدية للإبداع والبحث فيه ، لا تنفصل لحظة عن حركة الواقع ، الذى يقرأه الإبداع بدوره من زاوية مغايرة ، مما يضع على الكتابة النقدية والبحثية عبء قراءة الواقع الماثل على الأرض ، والواقع المتمثل فى بنية فنية / أدبية ، وتثير فى الذهن فكرة (المرجع) المعتمد عليه فى هذه القراءة النقدية ، والتى تسمح بفك علامات العمل الفنى وإعادة تركيبها فى بنية نقدية ، تسمح بتفسير الإبداع وفهم أسراره والإمساك برسائله المضمرة ، وإدراك دوره فى تأخير المجتمع أو تثبيت بنيته أو دفعها للتغيير·

هذا التغيير الذى نادت به هبات الشباب العربى وألتفت حولها شرائح المجتمع الشاخصة للأمام ، وسعت فئات سياسية وعقائدية لسلب التغيير من محتواه المتجاوز لما هو قائم ، والانتقال لمرحلة تالية أكثر تقدما ، وجعله مجرد هدما لأنظمة فكرية دون بناء جديد ، أو إحلال أنظمة قديمة محل الفراغ الناتج عن عملية الهدم ، مما خلق نوعا من (التميع) الفكرى على أرض الواقع، وحبس الإبداع داخل حقل التوثيق لما حدث ، والغناء بما تم ، والبكاء على من راح ، دون قدرة على التبصر فى (جوهر) ما حدث ، والقبض على القانون الموضوعى الكامن خلفه ، من أجل صياغة أسس التغيير المطلوب تحقيقه لهذا المجتمع الذى ثار على أنظمته ، فهو لم يثر لمجرد تغيير الواجهة ، ولم يتحرك بهدف استعادة الماضى الذى ولى – مهما كانت قيمته فى الماضى السعيد – بل هو انتفض لعجز بنية الراهن عن تلبية احتياجاته الحاضرة وآماله فى مستقبل أفضل ، وهو يطالب مثقفيه ومبدعيه بحقه عليهم فى إنارة الطريق أمامه ، ألم يعلمهم لكى يكونوا طليعته ؟ ، ودور الطليعة ليس تطوعا ، بقدر ما هو مسئولية تجاه من علمه وثقفه ودفعه ليحتل موضعه فى المقدمة ، ومسئولية تجاه الغد الذى يطالبه بالفعل الجاد للوصول إليه ·

فى البدء كانت الكلمة ، كان وجودها المشرق ، وفيما بعد يكون فعل الإبداع المعبر عن صدق الكلمة وقدرتها الفذة على التبصر ، وإمكانياتها فى توعية العقل المثقل بهموم اللحظة المعيشة ، كى يدرك أن لا أحد يبدع بهدف الإبداع ذاته ، ولا يجرب لمجرد التجريب فى حد ذاته ، ولا يُنظر بكلمات غامضة ملتبسة ، بل هو يفعل كل هذا من أجل مجتمع أكثر تماسكا ، ووطن أكثر تقدما، وزمن لن يرحم من تأخر عن اللحاق به ، ولعلنا بهذا المجلد المزدوج نكون خطونا خطوة نحو هذا الغد القادم بتوجهه لا محالة ·

**التحرير**

لا أحد يبدع بهدف الإبداع ذاته ، ولا يجرب لمجرد التجريب فى حد ذاته ، ولا يُنظر بكلمات غامضة ملتبسة ، بلهو يفعل كل هذا من أجل مجتمع أكثر تماسكا، ووطن أكثر تقدما، وزمن لن يرحم من تأخر عن اللحاق به.

# شخصيات

أسعد نديم ... 233

نجيب الريحانى ... 241

زكى نجيب محمود ... 257

جورج أبيض ... 271

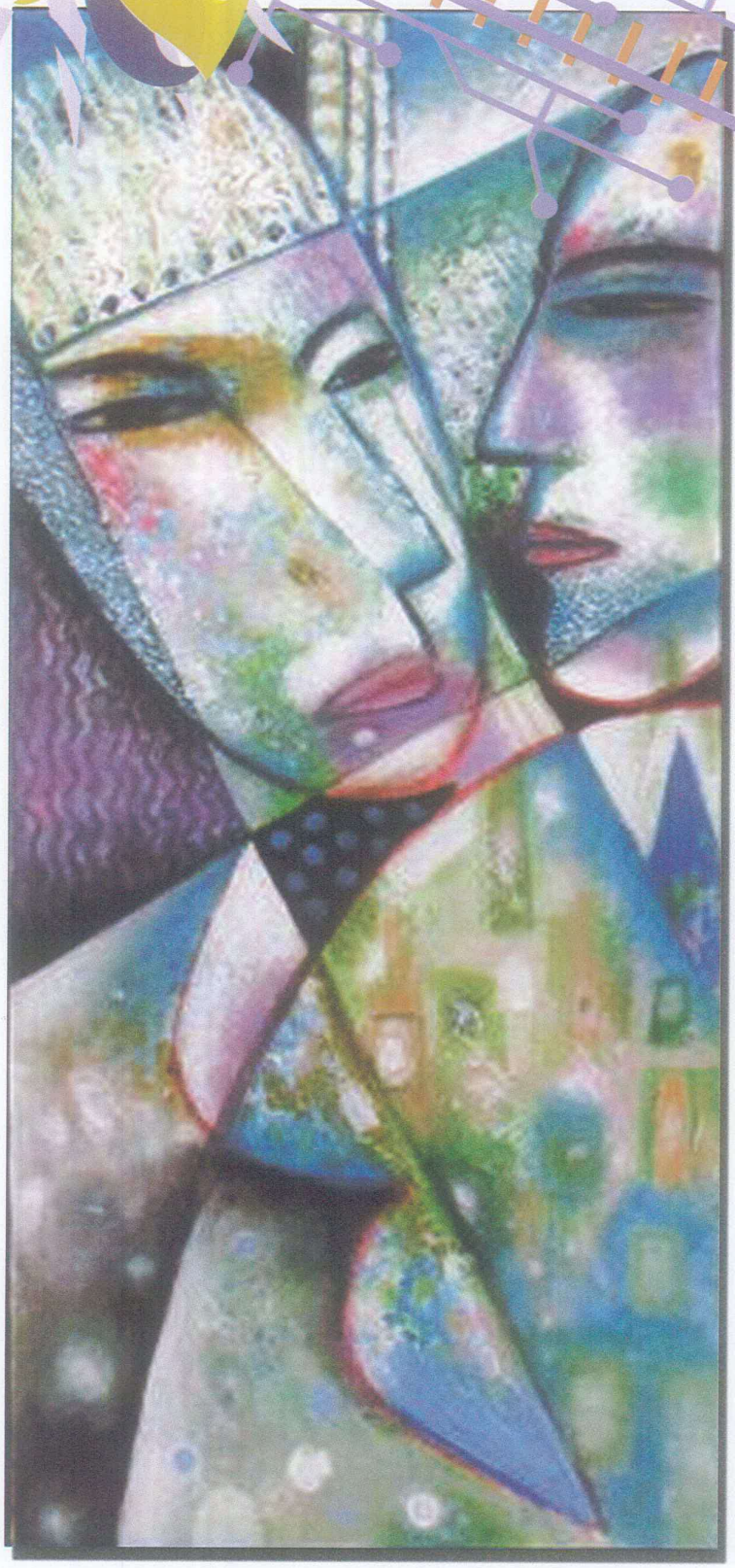

اللوحة للفنان العراقى ستار كاووش ( جدل الإنسان )

# جورج أبيض ...
# وقصته مع الحياة.. والفن..
# والمسرح الذى أحبه

عبد الفتاح غبن
... مصر

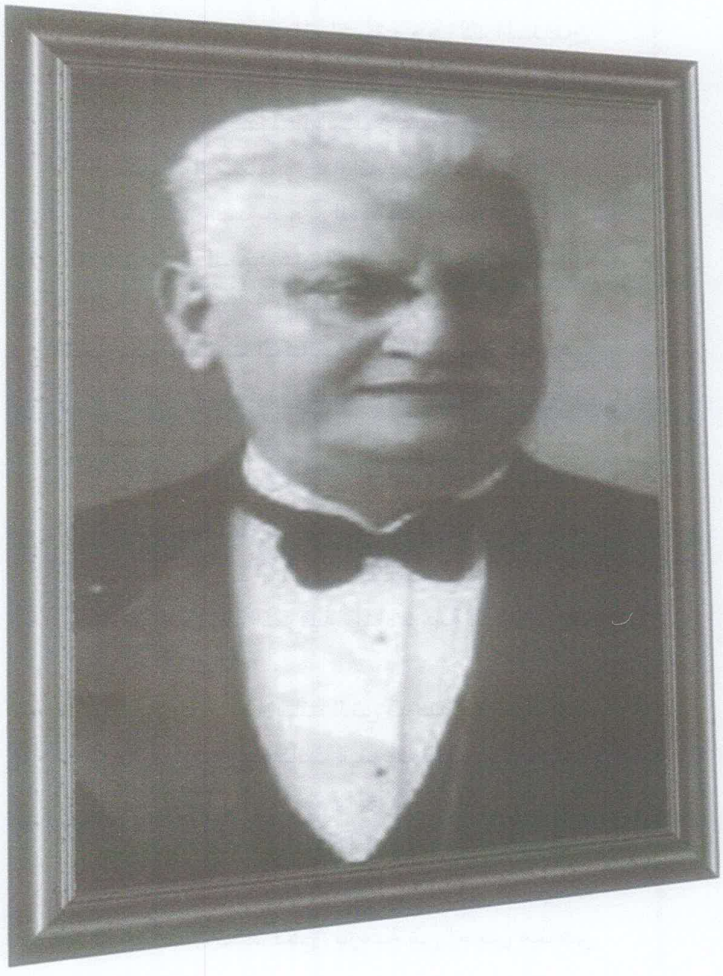

ولد جورج أبيض في بيروت ثم هاجر إلى مصر ، وشاهده الحاكم المصري في مسرحية سياسية مترجمة بعنوان "برج نيل" فأعجب به وأرسله إلى باريس لدراسة الفن، ووبعدها عاد لمصر ومعه فرقة تحمل اسمه وبدأ بعرض مسرحيات باللغة الفرنسية .كما كان من رواد السينما حيث قدم أول فيلم غنائي مصري وهو فيلم أنشودة الفؤاد .وفي عام ١٩٤٣ انتخب ليكون أول نقيب لنقابة الممثلين في مصر وحين افتتح معهد الفنون المسرحية ظل يدرس به حتى توفي.

## كاتب هذه الدراسة
## الراحل عبد الفتاح غبن

- ناقد ومؤرخ في الفنون والآداب ويسطر بقلمه محدثاً عن "قمم الغناء المصري"، وفناني المسرح والسينما، والشعراء والفنانين التشكليين المصريين. فضلاً عن تقييمه وتأريخه لمرحلة من مراحل مشروع التنوير القومي المصري في الأدب والشعر والفنون منذ ثورة ١٩ وحتى الثمانينيات من القرن المنصرم.
- كانت كتاباته النقدية والتأريخية تتسم بالموضوعية الخالصة فهي تقوم على التوثيق والتسجيل، فضلاً عن تدعيمه لهذه الدراسات والمقالات والكتب بالحوارات المباشرة مع هؤلاء المبدعين سواء مع قمم الغناء العربي: كوكب الشرق أم كلثوم محمد عبد الوهاب وغيرهما من نجوم الطرب والغناء، وحواراته مع نجوم التمثيل والمخرجين المسرحيين والسينمائيين، والموسيقيين والشعراء الذين كان لهم دور رائد في الحياة الفكرية والثقافية والفنية في مصر.
- من أهم سمات الكاتب عبد الفتاح غبن في كتاباته؛ الصدق وبساطة الأسلوب في تناول السير الذاتية وتقوم على التوثيق والتسجيل. كان هذا نتيجة طبيعية لمعرفته القريبة لمعظم هؤلاء الفنانين ومعاصرته لهم، وعلاقته الحميمية بهم. لقد مهد كل هذا وساعد الكاتب في الوصول إلى جوهر الحقيقة المعرفية والموضوعية في التعريف بهم في كتاباته.
- من أهم هذه العلاقات التي قربته بقمم الغناء المصري والعربي كانت معرفته القريبة بسيدة الغناء العربي أم كلثوم والموسيقار المبدع محمد عبد الوهاب. ومن أبرزها أيضا علاقته الحميمة مع أديب الشعب بيرم التونسي الذي كانت تجمعه به جلسات تكاد تكون يومية في إحدى مقاهي حي السيدة زينب التي اعتاد بيرم التردد عليها؛ حيث يراقب ويتفحص مختلف النماذج البشرية من باعة وشحاذين ونساء وأطفال وأفندية داخل حركة لا تتوقف، تموج بها حواري حي السيدة زينب وأزقتها.
- من أهم كتابات عبد الفتاح غبن دراسته المهمة "بيرم والفصحى"، وقد كشف لنا فيها جانباً مجهولاً في كتابات الشاعر بيرم التونسي وهي كتاباته الشعرية بالفصحى؛ وهو جانب لم نعتده في كتابات بيرم التي هي في مجملها شعر عامي.
- من أهم دراسات عبد الفتاح غبن أيضا كتابه عن "الشيخ سيد درويش" الذي يتناول فيها حياة سيد درويش وابتكاراته الإبداعية في عالم الغناء والطرب والتلحين وعلاقة هذا كله بتاريخ حياته الوطني عبر آراء الآخرين فيه من كتّاب وموسيقيين وفنانين تشكيليين.
- أما دراسته "شارع عماد الدين" فتعد من أهم الدراسات التي يتناول فيها عبد الفتاح غبن رجال المسرح المصري منذ ثورة ١٩ حتى الستينيات من القرن العشرين. وهي دراسة تحليلية تؤرخ لبدايات الحركة المسرحية المصرية المعاصرة، وتقوم - فضلاً عن التأريخ والرصد على تحليله للظاهرة المسرحية المصرية برمتها في تلك السنوات التي ماجت فيها الأرض المصرية بعدة تغيرات جذرية في الحركة الوطنية المصرية بمختلف وجوهها وظواهرها وأطروحاتها. من هذه الدراسة اخترنا جزءاً منها يتناول رائداً من أهم رواد المسرح المصري وهو الفنان جورج أبيض الذي قام على يديه تأسيس المسرح المصري المعاصر.

هناء عبد الفتاح

## مقدمة لابد منه

**يبدأ تقديمنا لهذا الفصل بطرح سؤال مهم وهو:**

■ **كيف يمكن لنا القيام بتقييم دور "جورج أبيض" فى تطوير المسرح المصري فى بلادنا؟**

تلك هى المسألة التى تحتاج إلى دراسات جادة متواصلة للأدب القصصي المسرحي قبل أكثر من ستة وتسعين عاما (٩٦) عاما؛ أي ما يقرب من قرن من الزمان. بدأ هذا الأدب يستقر ويتأصل فى أعقاب ثورة ١٩١٩.. حيث أسهمت تلك الثورة وما خلَّفته من آثار اجتماعية ونفسية وفكرية فى توجيه الحياة المصرية وجهة جديدة؛ كان من نتائجها الالتفات إلى الأدب القصصي والمسرحي والإقبال عليهما والتفنن فيهما.. حتى اعتبرت هذه الفترة بداية ظهور هذا الأدب حقيقة.. في هذا المناخ نما ونضج وأخذ الأدب المصري مكانته بحق. وحسبنا أن نعرف أن كتَّاب هذا الأدب أصبحوا يُعَدون بالعشرات وصار النتاجُ الذى يمثله يُعَد بالمئات؛ بل وقد وجد جيل كامل من الكُتَّاب المتخصصين في ممارسة هذا الفن الأدبى؛ فضلاً عن إسهام جيل كامل من الكتَّاب الكبار المعروفين بجولاتهم فى ميادين أخرى غير القصة والمسرح.

لهذا جعلتُ نقطة البداية لهذه الدراسة هي السنوات التي جاءت متعاقبة في أعقاب ثورة ١٩١٩.. وعلى الرغم من أن ميلاد الأدب القصصى والمسرحى قد كان قبل ذلك بسنوات؛ إلا أن الميلاد هنا ليس مهماً قدر أهمية وجوده الحقيقى المتمثل في النتاج الوفير المنوع الصالح للتصنيف والدراسة والتقويم. وقد شجَّع على إغفال سنوات الميلاد إنني قد درست النتاج الخاص بها فى كتاب سابق قد عرض لتطور الأدب الحديث فى مصر حتى قيام الحرب العالمية الكبرى الثانية، وعرضَ فيما عرض لهذه الأعمال القصصية والمسرحية التى مثلت ميلاد هذا الأدب فى مصر.

وقد اتخذت قيام الحرب العالمية الثانية نقطة انتهاء ليقيني من أن تلك الحرب وما صحبها وما تخلف عنها من آثار.. كانت تمثل نقطة تحول مهم فى التاريخ الاجتماعى والفكرى والأدبى فى مصر كغيرها من بلاد كثيرة. ومع تلك الحرب تفتحت العيون على الاشتراكية التى كانتْ قد صُوِّرتْ من قبل؛ وكأنها شبح مخيف.. كما تعرَّف المفكرون على كثير من تلك القيم الجديدة التى كانت تحجمها القوى المسيطرة عليها قبل تلك الحرب. وانفتح الأدب المصرى على الواقعية الاشتراكية كما عرفتْ عند الكتَّاب الروس ومن سار على دربهم.. وكان من نتائج ذلك كله أن أصبح الأدب المصرى ؟ وخاصة الأدب القصصي والمسرحي ؟ يسلك دروبا جديدة؛ ويعبر عن قيم أخرى غير تلك التى كان يعرفها قبل تلك الحرب، وظهر في الأفق إثر ذلك جيلٌ جديدٌ من كتَّاب الأدب القصصي والمسرحي يمثلون اتجاهاً متميزاً فى الأدب المصري.

لقد خرجت مصر من ثورة ١٩١٩ ببعض المكاسب؛ وخطتْ فى سبيل حريتها بعض الخطوات. فقد اضطرت بريطانيا إلى إعلان تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢، الذى نص على إنهاء الحماية المفروضة على البلاد، ثم إعلان الاستقلال؛ وصدر الدستور؛ فسجل أن جميع السلطات مصدرها الأمة، وقرر أيضا أن الحرية الشخصية مكفولة؛ وأن حرية الرأي مضمونة، كما قرر حق الأمة في حكم نفسها بنفسها، وحقها فى أن يكون لها برلمان يمثل إرادتها. ثم أجريتْ الانتخاباتُ وافتتح البرلمان، وبدأت البلاد تستشعر الحرية والسيادة، وتأمل أن تمضي فى طريق النصر، محافظة على حقوقها في الدستور؛ معلنة إرادتها بالبرلمان، محققة لتلك الإرادة بالحكومة الوطنية.

غير أن هذا الأمل لم يعش طويلا!! فقد تآمر القصر والإنجليز على استقلال مصر الوليد، وعلى

دستورها الذى لم يجف مداه، وعلى برلمانها الذى لم تُطْوَ أعلامُ الاحتفالِ به. وقد ساعد بعض زعماء ثورة ١٩١٩ على نجاح هذه المؤامرة وذلك بتعلقهم بالحكم وميلهم إلى السلطة، وتمكينهم للأهواء الشخصية والمكاسب الذاتية. وعلى الرغم من أن قوى العدوان المتحالفة ضد مكاسب الشعب قد حولت الاستقلال إلى لفظ بلا معنى، وجعلت من الحرية شهيدا تمزقه الحربِ، وأحالت النضال الوطني إلى صراع حزبي، وخلَّفتْ من الدستور ملهاة يعبث بها القصر والمستوزرون، من البرلمان والحكومة مطمعًا يُهرول نحوه هواة السلطة ومحترفو الحكم، على الرغم من ذلك كله؛ فقد التمعتْ فى تلك الفترة إشراقاتٌ كانت ذاتَ أثر بالغ في حياة مصر الاجتماعية والفكرية والأدبية. فقد بقيتْ الروحُ الوطنيةُ حية نامية مناضلة، تتطلع إلى غد أكثر إشراقا، وتبحث عن زعيم أعظم قدرة؛ وأنفذ بصيرة؛ كما أصبح الناس أشدَّ تعلقا بالحرية التى كسبوها بدمائهم. وحاولوا جاهدين ممارستها وتأكيدها في حياتهم اليومية؛ مما جعل من تلك الفترة خطوةً واسعةً على طريق النصر.

كانت لثورة سنة ١٩١٩ مشاركة كل الطوائف الشعبية فيها، وانتهائها ببعض المكاسب، فقد أثر هذا بوضوح في الشعور بالثقة عند أبناء الشعب الذين بعد قيامهم بعبء النضال؛ استشعروا حلاوة النصر، بعد أن ذاقوا ويلات الحرب، ومن قبلها آثام الاحتلال. وقد تحسنت الأحوال الاقتصادية فى أوائل تلك الفترة بعض الشىء، حيث استشعر الناس الاستقرار والأمن بعد معاناة القلق والخوف، وبعد أن أنشئت بعض المؤسسات الاقتصادية كـ"بنك مصر" و"بنك التسليف"، فقد أدى بدء الالتفات إلى الصناعة مع شركات "بنك مصر" إلى إتاحة الفرصة لطائفة من الأيدى العاملة للعمل في الوقت الذي أنقذ بنك التسليف كثيرا من الفلاحين من أيدى المستغلين والمرابين.

ساهمتْ تلك العوامل في نمو القوى الشعبية التى أحست بكيانها وأدركتْ دورها، وفرضتْ وجودها على القوى المتصارعة التى اضطرت إلى أن تحس هذا الكيان وتدرك هذا الدور. غير أن القوى الشعبية لم تستطع على الرغم من ذلك أن تتصدر، وذلك لعدم قدراتها وإمكانياتها المادية، ولعدم اكتمال قوتها إلى الحد الذي يتيح لها تولي القيادة. فقد كانت السيطرة لا تزال فى أيدى الاقطاعيين، الذين كانوا يلقبون بأصحاب المصالح الحقيقية؛ والذين كانوا يتولون الزعامة السياسية؛ ويضعون إلى جانبهم من يتولون الزعامة الفرعية؛ الأمر الذى أعطاهم مزيدًا من القوة؛ بل مزيدا من السيطرة. فجعل منهم يمثلون أكثر الحكومات والبرلمانات وأهم السلطات التى تتصدر طبقات الشعب.

ولقد كان من أسباب بقاء الاقطاعيين مسيطرين على المال والتصدير أن ثورة ١٩ لم تلتفت إلى التغيير الاجتماعي فى حياة المصريين أو - بتعبير أدق - لم يلتفتْ زعماء تلك الثورة إلى أن يجعلوا منها ثورة اجتماعية واقتصادية. ولم يتجاوزا بها هذا المجال السياسى الضيق، الذى انتهى ببعض المكاسب التى تنازع عليها هؤلاء الزعماء. فقد ظلت الزراعة هى عماد الاقتصاد المصري وبقيتْ معظم الأراضي الزراعية التى هى عماد هذا الاقتصاد فى أيدى الاقطاعيين. وقد سبب هذا الوضع كثيراً من الأضرار الاقتصادية والاجتماعية زيادة عن الأضرار السياسية.

لكن على الرغم من عدم تصدر القوى الشعبية، وبقاء الصدارة لطبقة الاقطاعيين؛ فقد كان لنمو القوى الشعبية أثر واضح فى حياة تلك الفترة؛ وبخاصة من الناحية الأدبية، فقد عنيتْ الفنون القصصية بهذه الطبقة التى برزت منذ ثورة ١٩ فاستلهمت جوانب من حياتها، وصورت بعض شخصياتها، وعالجت كثيرًا من مشكلاتها.

لقد كان من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية فى تلك الفترة استقرار تجربة تحرير المرأة، ومشاركتها

فى كثير من المجالات السياسية والفكرية والاجتماعية. فبعد أن كان "قاسم أمين" فى الفترة السابقة ينادى للمرأة بالسفور، ويرى الكثير من المعارضة؛ بل المصادرة؛ نرى المرأة فى هذه الفترة قد خرجت إلى كل مجالات الحياة، وشاركت الرجل فى تلك المجالات مشاركة توشك أن تكون تامة. وكانت ثورة ١٩ قد ساعدت على هذه الدَفعة حيث شجعت المرأة على الإسهام فى الحياة السياسية حين خرجت أولُ مظاهرةٍ تسوية سنة ١٩١٩ تطالب بالاستقلال، وتحقيق مطالب البلاد، ثم تبع ذلك تأليف لجنة مركزية للسيدات الوفديات سنة ١٩٢٢ من القرن المنصرم؛ فشاركت فى حركة المقاطعة التى نظمها الوفد ضد الإنجليز على إثر اعتقال الزعيم الوطني "سعد زغلول" للمرة الثانية. ثم دخلت المرأة الجامعة، وواصلت مشاركتها فى الحياة العلمية. كذلك ألَّفتْ الجمعيات النسوية ومضت تسهم بشكل واضح فى الحياة الاجتماعية. وكان لاستقرار تجربة تحرير المرأة كذلك أثر واضح فى حياة تلك الفترة الأدبية؛ وبخاصة فى الفنون القصصية والمسرحية؛ حيث أصبحت المرأة وتجاربها تمثل عناصر رئيسة فى القصص والروايات والمسرحيات دون حرج كهذا الحرج الذى كانت تحسه من قبل بعض الكتَّاب، حيث كانت المرأة وتجاربها من العورات التى يجب أن تُسْدل عليها الحجب.

فإذا جاوزنا الجانب السياسي والاجتماعي لتلك الفترة التى تلمس الجوانب النفسية أو التعرف على "سيكولوجية" المجتمع حينذاك؛ رأينا أن النفسية الاجتماعية كانت فى أوائل ذلك العهد مزيجًا من الشعور باستقلال الشخصية المصرية؛ والإحساس بالحرية الفردية؛ ثم من روح الثورة والرغبة فى التغيير.

أما بعد سنوات من ذلك العهد، وبالأخص بعد اتضاح انحراف الزعامات، وافتضاح حيل الاستعمار، وانكشاف تآمر القصر، وبعد أن تحول الاستقلالُ إلى حماية مقنعة، والدستورُ إلى خديعة يتلهى بها "المستوزرون"، وبعد التنكيل بكثير من المواطنين، والضغطِ على الحريات؛ والانتكاس بمكاسب الشعب. بعد أن كان كل ذلك وغيرها من مختلف الظواهر، فقد تحول البعض إلى الشعور بالمرارة والإحساس بخيبة الأمل؛ مما أدى بطائفة من الشعب إلى الانطواءِ على النفس أو العكوفِ على الذات، والانعزال - فى البرج العاجي - عن القضايا السياسية والشؤون المحلية.

كان لهذه المظاهر أثر كذلك فى الحياة الأدبية، وخاصة حياة الأدب القصصي والمسرحي، حيث رأينا بعض الأعمال تجنح إلى الإهتمام بذات الكاتب وحياته وذلك بدافع الشعور بالاستقلال الذاتي، والإحساس بالحرية الفردية، كما رأينا بعض الأعمال تمثل الإهتمام بالقضايا الذهنية المجردة؛ والأساطير الرامزة القديمة، وذلك بدافع الشعور بالانفصال عن الواقع المرير؛ والحاجة إلى اللجوء إلى عالم أكثر طلاقة وإلى تعبير مأمون عواقبه.

نمت الحياة الثقافية فى مصر بعد ثورة ١٩ من القرن العشرين، وكان هذا النمو نتيجة عوامل عديدة. ومن أهم تلك العوامل تدعيم الجامعة واتضاح شخصيتها، بعودة طلائع بعثاتها إلى الوطن، وإسهام هذه الطلائع بنشاط واضح في الحياة الثقافية. كما كان من أسباب تدعيم الجامعة واتضاح شخصيتها وضعها تحت إشراف الدولة سنة ١٩٢٥ من القرن المنصرم.

كذلك كان من مظاهر نمو الحياة الثقافية فى مصر خلال تلك الفترة، إصلاح الأزهر وإنشاء كلياته المتخصصة، كما كان من مظاهر نمو الحياة الثقافية أيضا توسع الدولة فى التعليم نسبيًا، وبخاصة فى مجال التعليم العام، ثم ازدياد الإهتمام بتعليم المرأة، وإيفاد كثير من البعثات التى لم تقتصر على الجانب الحكومي، بل تعدته إلى البيئات والمؤسسات التى يأتى فى مقدمتها بنك

مصر، حيث أوفدت طائفة من أبناء الأمة للتخصص فى فنون مختلفة لينتفع بهم في المجالات التى احتضنتها شركات البنك حينذاك. وكانت من تلك البعثات بعثاتٌ للتخصص فى فنون التمثيل والإخراج. وليس من شك فى أن نمو الحياة الثقافية يستتبع بالضرورة نمو الأدب، ويفسح المجال أمام الفنون الناشئة فيه كالفنون القصصية والمسرحية؛ وبخاصة إذا كان رواد الحياة الثقافية من المشتغلين بهذه الفنون.

على أن هناك أجهزة غير هذه الأجهزة التعليمية الرسمية وغير الرسمية قد أسهمت بشكل واضح فى النمو الثقافى الذى شهدته البلاد فى تلك السنين. وقد كانت الصحافة من أهم تلك الأجهزة؛ فقد استتبع الصراع الحزبي الذى كان السمة السياسية فى تلك الفترة، إلى أن ينشيء كل حزب صحيفة أو أكثر، وكان هذا أساسا لخدمة أغراض الحزب. ولكنْ رُؤيَ أن ملأ الصحف بحديث السياسة وحدها؛ لا يُلفت أنظار القراء، ولا يجلب كثيرا من الأنصار. من هنا أهتمتْ الصحف الحزبية بالنواحى الثقافية التى لا صلة لها بالسياسية، وكان لتلك الصحف كُتَّابٌ، هم أساسًا من الرواد الثقافيين، لا من الزعماء السياسيين. وهكذا كان لحزب الوفد من الصحف: "البلاغ" و"كوكب الشرق" و"البلاغ الأسبوعي"، كما كان له من الكتَّاب فى أوائل تلك الفترة؛ طائفةٌ منهم. من بينهم "عباس العقاد" و"سلامة موسى" و"عبد القادر حمزة". كذلك كان لحزب الأحرار من الصحف: "السياسة" و"السياسة الأسبوعية"، وكذلك كان من بين هؤلاء الكُتَّاب طائفة، على رأس القائمة: "الدكتور محمد حسين هيكل"، و"الدكتور طه حسين" و"الدكتور محمود عزمى". كان كتاب صحف "الوفد" متأثرين بالثقافة الإنجليزية، بينما كان كتَّاب "صحف الأحرار" متأثرين بالثقافة الفرنسية.

على أن الأمر لم يقتصر على هذه الصحف الحزبية، أو ذات اللون الحزبي الواضح بل كانت هناك صحافة ثقافية، أو ذاتُ مسلك ثقافي فى الظاهر - على الأقل - وتمثل مجلتا "الهلال" و"المقتطف" هذا اللون من الصحافة وقد كان يغلب على الأولى الطابع الأدبي، وعلى الثانية الطابع العلمي. أما أصحاب كل من المجلتين فمن الشاميين المتمصرين.

لم يقف الأمر عند هذين اللونين من الصحافة المسموعة فى نمو الثقافة عن طريق الترويج للأحزاب السياسية حينًا، وعن طريق إنجاح المؤسسات الشامية حينا آخر؛ بل إن صحافة وطنية ثقافية قد ولدت خلال تلك الفترة؛ وأدت أجَّل الخدمات إلى البلاد تلك السنوات، ومثَّلَ ميلادُها رحلةَ تحول فى الحياة الثقافية والفكرية على السواء. وقد تمثلت هذه الصحافة فى مجلات "الرسالة" و"الرواية" و"المجلة الجديدة" و"أبوللو" و"الفجر" و"الثقافة" وغيرها من الصحف. وقد كان لهذه الصحف والمجلات جميعاً أثر واضح فى الحياة الأدبية؛ وبخاصة القصصية والمسرحية؛ حيث كانت مجالاً لنشر القصص والمسرحيات المؤلفة والمترجمة، كما كانت مجالاً للنقد الفني المتصل بالقصص والمسرحيات.

ثمة جهاز آخر بعد جهاز الصحافة، لا شك أنه قد أسهم بنصيب فى تنمية الثقافة فى تلك الفترة. هذا الجهاز هو "المسرح" فقد ازداد الإهتمام بهذا الجهاز، فأنشئت "الفرقة القومية" وجعل على رأسها الشاعر "خليل مطران"، وكانت قد أنشئت قبلها فرق مسرحية أخرى كـ"فرقة رمسيس"، و"فرقة عزيز عيد" و"فرقة فاطمة رشدي". وقد أسهمت هذه النهضة المسرحية الخصبة فى إفساح أفاق المشاهدين، فضلاً عن ما كان من إنضاج فن المسرحية؛ وإخصاب أدبها شعراً ونثراً وفقاً لما سوف نراه حين يكون الحديث عن الأدب المسرحى فى تلك الفترة.

ولا يمكن فى مجال الحديث عن الأجهزة

الثقافية وإسهامها فى التنمية الثقافية خلال ذاك العهد، أن نغفل السينما. فقد دخلت لمصر للمرة الأولى خلال تلك الفترة. وعلى الرغم من أنها بدأت بأفلام أجنبية صامتة؛ وبأفلام عربية صامتة؛ وأفلام ناطقة عرضت آنذاك؛ كانت أفلاماً هزيلة، إلا أن السينما - على الرغم من ذلك - قد أدت بدورها خدمات لا تنكر فى مجال تنمية الثقافة؛ وبخاصة الثقافة القصصية والروائية.

لا يمكن لنا أيضا أن نغفل الإذاعة فى مجال الحديث عن الأجهزة الثقافية التى عُرفتْ فى تلك الفترة. فقد دخل المذياع إلى مصر لأول مرة خلال تلك السنوات. وعلى الرغم من أنه بدأ بتلقى إذاعات إعلانية ومواد ترفيهية هزيلة مما كانت ترسله المحطات الأهلية المحلية؛ إلا أنه ما لبث أن خضع لإشراف الدولة وأهتم بالمواد الثقافية؛ بل تجاوز ذلك إلى الإهتمام بالمواد الأدبية الخالصة التى من أهمها القصص والتمثيليات.

شهدت تلك الفترة تحولاً خطيراً فى الحياة الفكرية. وقد تمثل هذا التحول في تغلب التيار الفكرى المتجه إلى الغرب. والمستدير للشرق والقائم أولاً على الشعور الوطني لا الإسلامي ولا العربي، والمهتم ثانياً بالارتباط بالواقع المحلي، واتخاذ الغرب مثلاً أعلى لترقية هذا الواقع والنهوض به، ثم المبتعد آخر الأمر عن التراث وتمجيده.

وكانت هناك أسباب عديدة دفعتْ بهذا الاتجاه الفكري إلى الأمام بعد أن كان فى فترة سابقة يأتى فى المقام الثاني، ويكاد ينحصر تفوقه فى المجال السياسي والإصلاحي التي يؤرخ فيها الأدب لذاته أو يكتب عن أيامه، على نحو ما فعل "طه حسين" فى "الأيام" و"توفيق الحكيم" في "يوميات نائب فى الأرياف".

ليس من شك فى استقرار الفنون القصصية والمسرحية - آنذاك - والتي عرفتْ غضة وليدة فى سنوات سابقة. فقد كان من أهم أسباب هذا الاستقرار طابع تلك الفترة؛ وهو غلبة هذا الاتجاه الفكري الغربي الذى يتزعمه هؤلاء الكتّاب الشديدى الصلة بأدب الغرب. وليس من شك أيضا فى أن ظهور فنيْ "التراجم الذاتية" و"اليوميات" قد كانت من أهم دوافع ظهورهما فى تلك الفترة التى من أبرز سماتها الشعورُ باستقلال الشخصية والإحساس بالحرية الفردية فضلا عن ما قد يكون من شعور بالمرارة، ورغبة فى الانطواء على الذات.

وهكذا استقر الفن القصصي فى هذه الفترة كجنس أدبي، ولم يعد مترددا بين المستلهم من التراث الأدبي وتأسيس القصص الغربية، اتجه تماماً نحو الطريق الذى سلكه القصاصون الغربيون وتأسيس القوالب الفنية الغربية فى القصة القصيرة والرواية؛ مستدبراً تلك المحاولات التى قصدت إلى استلهام التراث، كما فعل "المويلحي" في "حديث عيسى بن هشام"؛ ثم متجاوزاً مرحلة التمهيد التي كانت تمزج القصة ببعض العناصر الغريبة عن فنها الصحيح، كما فعل "المنفلوطي" فى "العبرات". وبجوار ذلك كله ظهر جيل من كتاب القصص المتمكنين الذين تفرغوا فنيا لهذا الجنس الأدبي. ولم يشاركوا كمعظم الكتّاب الكبار فى المجالات الصحفية والسياسية. ولم يكن همهم المقال أو الكتابة أو ما إلى ذلك. هؤلاء الكتّاب القصصيون، هم الذين جعلوا لهذا الجنس الأدبي مكانًا مرموقًا بين الأجناس الأدبية الأخرى.

وليس من شك فى أن الفن القصصي مدين فى استقراره - بجانب ذلك - إلى جهد هؤلاء الرواد كما كان فى الفترة السابقة من محاولات وُلدَ معها هذا الجنس الأدبي على صورته الفنية فى الأدب الحديث، حيث كان "ميلاد الرواية" على يد الدكتور محمد حسين هيكل. كما كان ميلاد القصة القصيرة على يد محمد تيمور.

إن الفن القصصي مدين فى استقراره - فضلا عن ذلك - لما كان من جهود "المنفلوطي" فى

قصصه المعربة والمؤلفة. وعلى الرغم من كل ما أخذ عليه من عيوب؛ فقد جذب القراء إلى هذا الجنس الأدبي، وحبب إليهم متابعته بفضل ما كان لهذا الكاتب المقتدر من أسلوب مشرق وعاطفة حارة وخيال مجنح.

ولا يمكن أن يُنْسَى فى هذا المقام فضلُ المترجمين والمُعربين، الذين نقلوا إلى العربية فى هذه الفترة؛ والفترة التى من قبلها نماذج مختلفة من القصص الغربى. من بين هؤلاء أولئك الذين أسهموا فى هذا الميدان: "يعقوب صروف"، الذى ترجم "قلب الأسد" عن "والترسكوت"، و"نجيب حداد" الذى ترجم "الفرسان الثلاثة" عن "ألكسندر دوما الأب"، و"حافظ إبراهيم" الذى ترجم "البؤساء" عن "فيكتور هيجو" و"أحمد حسن الزيات" الذى ترجم "آلام فرتر" عن "جوته"، و"رافائيل" عن "لامارتين" و"محمد السباعي" الذي ترجم "قصة مدينتين" عن "تشارلز ديكنز" فضلا عن السباعي ترجم عدداً كبيراً من القصص القصيرة لمشاهير كتّاب الغرب. كما لا يُنْسى فى هذا المقام فضلُ أعلام آخرين كان لهم نشاط ملحوظ فى حركة الترجمة القصصية مثل "أحمد حافظ عوض" و"عباس حافظ" و"عبد القادر حمزة" و"إبراهيم المازني" و"محمد عبد الله عنان" وغيرهم.

هذه العوامل مجتمعه فضلاً عن روح ثورة ١٩١٩ من القرن المنصرم، وما سببته من غلبة التيار الفكرى الغربي، ومن رغبة فى خلق أدب مصرى؛ قد منحتْ القصص استقراراً ووهبته قوة. حتى احتل منذ هذه الفترة منزلة الأدب الحديث بعد أن كان بعضُ الكتّاب فى الفترة السابقة يشعر بالحياء من أن يضع اسمه على عمل قصصى كما حدث للدكتور "محمد حسين هيكل" حين نشر روايته "زينب" للمرة الأولى.

هذه هي الظروف الفاعلة التي أثرت تأثيراً مباشراً وغير مباشر في نشأة جنس أدبي آخر، وحركة فنية مسرحية أخرى؛ شكلت وجدان رواد المسرح المصري وصاغت إبداعاتهم المسرحية. وبلا ريب كانت هذه الحركة الأدبية الحديثة – سواء كان على مستوى التأليف أو الاستلهام أو الترجمة – هي القاعدة التي صاغت النص المسرحي لتؤسس بدورها العرض المسرحي. ومن أهم رواد هذه المرحلة التي تأثرت وتفاعلت مع هذه الحركة الأدبية المصرية الحديثة هو المبدع المسرحي "جورج أبيض".

**يروي لنا "جورج أبيض" في مذكراته قصته مع الحياة والفن والمسرح الذى أحبه:**

> "(...) شغلت وظيفة ناظر محطة الرمل بالإسكندرية براتب شهرى قدرة ١٤ جنيها أربعة عشر جنيها. وأقبلت على عملي الجديد بهمة ونشاط زائدين، وبعد شهرين من تعييني فى وظيفتي الجديدة – يستطرد أبيض قائلا – وفيما كنت أمر من بين أرصفة المحطة أتفقدُ العمل فيها؛ إذا بى أفاجأ بوجه مألوف لدي.. وجهٍ ما إن رآنى صاحبُه حتى ابتسم ابتسامة عريضة. كان الرجل هو "بيير جيرار" قنصل فرنسا في الإسكندرية الذى وعدنى خيرا في المستقبل؛ وهنأنى الرجل على منصبي الجديد وتمنيَّ لى النجاح فيه".

ومرتْ الشهورُ رتيبة لا تحمل جديداً، وكان جورج أبيض فى مكتبه بعد عام كامل من شَغْله لوظيفته؛ حين دخل عليّه اثنان من رهبان المدارس الفرنسية المعروفين باسم "الفرير". وقال له الرجلان إنهما يمثلان مدرسة "سانت كاترين" بالمنشية بالإسكندرية؛ وقد أصبحتْ اليوم مدرسة "سان مارك"، وانتقلتْ إلى "الشاطبي"؛ وإنهما قد نما إليهما نبأ مقدرة جورج أبيض الفائقة فى التمثيل باللغة الفرنسية فجاءا يعرضان عليّه القيام بتمثيل دور "دون جوزيه ماريا" فى مسرحية "القروش الحمراء".

وسر جورج أبيض للماضي الذى عاد لزيارته، وسره أكثر أنه تلقى عرضاً جديداً للوقوف على

المسرح فقبل دون تردد.. وضمه الرجلان إلى عضوية نادي خريجي مدراسهم. وبعد أسبوع من الاستعداد والبروفات وقف جورج أبيض على المسرح ليؤدي دورا من أدواره القديمة.

**عاصفة من التصفيق:**

وقابله الموجودون بعاصفة من التصفيق، وحين أسدلتْ الستارة على الفصل الأخير زاره القنصل الصديق - وكان ضمن كبار المدعوين - وقال له وهو يشد على يديَّه مهنئا: "ليس مكانك بين القطارات وركابها.. إنما مكانك في الكونسيرفاتوار!" ودوت هذه الكلمات في أذنيَّ جورج أبيض عالياً وتركتْ أصداؤها في نفسه صدىً كبيراً. بقي بعدها يشارك في الحفلات المسرحية التى كان يقيمها نادي الخريجين؛ ويشترك معه فى تمثيلها أعضاء النادى الهواة من أمثال السيدين "إيمى بول" و"جورج كاشار".

**وجاء عام ١٩٠٢.**

وهو عام حافل فى تاريخ جورج أبيض.. فقد كان بمثابة نقطة تحول هامة وضعته على الطريق الذى كان قد قطع فيه شوطا كبيرا. ولتعود به إلى طريق آخر ازدهرت فيه مواهبه.

> «...» وبدأ تاريخي يتغير عندما قرأت فى إحدى الصحف المسائية التى كانت تصدر باللغة الفرنسية بالثغر نبأ أبرزته فى صدرها - يستطرد جورج أبيض قائلا - أعلنتْ فيه قرب وصول "أريمني نوفيللي" إلى الإسكندرية.. نعم أريمني نوفيللي" أشهر ممثل إيطالي على الإطلاق. لقد جاء إلى الإسكندرية على رأس فرقته ليقدم على مسارحها روائع المسرحيات. وفي اليوم التالي رأيتُ صورة منشورة فى الصفحة الأولى؛ وقرأتُ تحتها أنه يحمل "نياشين" أرقى من تلك التي يحملها سفير إيطاليا فى مصر".

وتساءل جورج أبيض وهو يطوى جريدته:"هل لدولة الفن مثل هذه الأهمية؟! وهل لها من الحظوة ما يفوق حظوة السفراء؟!"

وأحس بهاتف خفى يهمس فى أذنيَّه: "لم لا تنضم إلى هذه الدولة الكبرى.. دولة الفن؟!"

وبدأ الهاتف يقوى ويقوى.. حتى غدا صراخًا، فازداد تصميما على أن يرى "توفيللى" فى جميع مسرحياته. ووصل الفنان الكبير ليستقبله السفير وأبناءُ الجالية الإيطالية فى مصر. وراح جورج أبيض يجمع من المكتبات أصول المسرحيات التى يقترح "أريمني" تقديمها؛ فيقرأها مرة واثنتين؛ حتيَّ يستوعبَ حوداثها جيدا. ثم يقف بعد ظهر كل يوم فى طابور طويل كي يستطيع الحصول على تذكرة فى "أعلى التياترو" ويدفع عشرين قرشاً ثمناً لها.

> «...» رأيت "نوفيللي" فى "أوديب الملك".. و"عطيل".. و"هاملت".. و"الأب ليونارد" وغيرها - يستطرد جورج أبيض قائلاً - رأيته فى اثنتي عشرة مسرحية كاملة، وعشتُ معه في أدواره الخالدة حيث كان يتحرك فوق خشبة المسرح بمهارة.. ويُلقي عباراته بتفانٍ وإتقان.. وأنا فوق على مقعدى أتبع حركاته بعينين مشغوفتين، وأسمع عباراته بأذنين صاغيتين.. أعيش مع المسرحية بجميع فصولها؛ وأعيش مع ممثليها فى جميع انفعالاتهم. وفي كل ليلة وبعد أن يسدل الستار وسط عاصفة من التصفيق الجنوني كنت أسائل نفسي "ألم يكنْ القنصل على حق عندما قال لي إن مكاني في الكونسيرفاتوار؟! أليس التمثيل هو ما خُلِقْتُ له وما يجب أن أخصص له حياتى؟!"

**مشروع ومشكلة**

تنتهي مسيرات "أريمنى" فى الإسكندرية، ويسافر إلى القاهرة ليكمل جولته الفنية على مسرح الأوبرا، ويبقي "جورج أبيض" وحده فى الثغر؛ يفكر فيما رأي وفيما يعتزم الإقدام عليه.

إن باريس - بالنسبة له ولكثير من المبدعين في شتى أنواع الفنون - هي كعبة الفنانين، وهى المعين الذى يجود عليهم بالفن الأصيل. وكان دوما يفكر

في أن يعتزم حَزْمَ حقائبه إليها. ومع مشروع السفر تبرز أمامه مشكلة المال.. "من أين له بنفقات السفر؟!" وتتجه أنظاره وتفكيره نحو موطنه. فيعود إلى منزله الصغير والكروم الخضراء تلتف حوله. ويقر عزمه على أن يبيع حصته من تركة والده؛ وكانت تقدر حينذاك بأربعمائة جنيه ليكفل بثمنها نفقات دراسته؛ ويخبره والدته الطيبة وكان قد استدعاها لتقيم فى الإسكندرية مع باقى أفراد الأسرة:

﴿...﴾ وعندما تستمع والدتي إلى عزمي بيع حصتي من تركة والدي تدق على صدرها بيدها وتقول لي: "تبيع ميراثك من أجل أن تعمل مشخصاتى؟! إن شيئا من هذا لن يكون!" - يستطرد جورج أبيض قائلا - أما عمي فقال لي - والشرر يتطاير من عينيه؛ وشاربه الكث ينتفض فى غضب: "والله لو سافرت لسوف أقضي عليك!". وكانت عبارة عمي تعني تهديداً لي بالقتل بالرصاص".

وهكذا تعقدت الأمور بين جورج أبيض وبين أسرته.. وبات الصدام وشيكا بين عناده الذى اشتهر به وبين تصميم والدته وعمه على رفض ما نوى عليه. ومرضت أمه فى هذه الأثناء مرضاً شديداً؛ ولما كانت إنسانة عزيزة عليه؛ فقد أحبها حبا أقرب إلى العبادة؛ فإنه قد قرر أن يتنازل عن مطلبه في السفر إلى الخارج ترضية لها.. وهكذا تنازل "جورج أبيض" عن قراره، ورضخ لإرادة العائلة.. ولكنه - في الوقت نفسه - لم يعدلْ عن فكرة السفر على الإطلاق! كان يقول لمن حوله بإيمان راسخ: "إنني لن أمس مليماً واحداً من ميراث أبي.. وعلى الرغم من ذلك؛ فإنني سوف أسافر إلى باريس".

■ **قيل له: من أين ستأتى بالمال؟!**

وأجاب كمن ينتظر غوثا من السماء: "من عند ربي!"

في هذه الأيام العصيبة جالت بخاطره فكرة إرسال خطاب إلى "جناب الخديو عباس" الذى كان يقضي الصيف فى ذلك الوقت بـ"قصر التين" بالإسكندرية. تعمد "جورج أبيض" أن يكون الخطاب موجها إلى سعادته مباشرة، ويكون عنوانه: "أنا جورج أبيض أخاطب الخديو عباس" - ويستطرد "جورج أبيض قائلاً - التمس منه إرسالي فى بعثة لدراسة التمثيل فى فرنسا على نفقته". نظر إليه عامل "البوسته" فى دهشة من أمره وهو يضحك؛ وكأن جورج قد مسه شيء من الجنون! يقول جورج أبيض:

﴿...﴾ وتلوتُ - الخطابَ بآخر. ثم ثالث، وهو يتضمن رواية برج إيفل- وفيه صورتى وأنا بملابس "الردنجوت"، وقد وضعت يدى على صدرى التمس فيه أن يشرف الحفل التمثيلي الفرنسي الذي أقيمه يوم ١١ يونيه سنة ١٩٠٤. وبعد ثلاثة أيام من إرسالي آخر كتاب؛ شرفني بالزيارة إلى مكتبي بـ"محطة سيدى جابر" المغفورُ له "أحمد زكي باشا" أمين سر تشريفات الخديوي لدعوتي للحضور بين يدي جناب الخديو عباس للاستماع إلى ما اعتزمت على فعله!".

وجاء موعد زيارة جورج أبيض لرأس التين.. ونهض مبكراً في يوم الزيارة وانتقى من حلله أجملها؛ ثم ركب عربة ذات جواد واحد إلى سراى رأس التين.. ودخل "أبيض" المكتب الكبير الذى احتل منه "أحمد زكي باشا" ركناً بعيداً.. وما أن رأه الرجل يتخطىَّ عتبات الباب؛ حتى ارتسمتْ على شفتيه ابتسامة عريضة ثم لوح له بورقة بيضاء فى يده.. وتناول "جورج أبيض" الخطاب بيد سرت فيها الرعشة.. رعشة تبعثها في أجسادنا تحققُ أمل مفاجئ.. وراح "جورج أبيض" يقرأ الخطاب بتؤده ويستعيد كلماته التاليه مرة واثنتين:

"حضرة جورج أفندى أبيض ناظر محطة سيدى جابر.. بعد التحية نبلغكم أن سمو الجناب العالي الخديو شمل الحفلة التى تحيونها يوم ١١ يونيو سنة ١٩٠٤ بتياترو

"زيزينيا" برعايته السامية؛ وسيشرف سموه مع رئيس النظارة هذا الحفل.."

**إلى المطبعة:**

وضع "جورج أبيض" الخطاب فى جيبه وغادر القصر متجهاً إلى المطبعة مباشرة. وطلب إلى مدير المطبعة أن يعد له التذاكر بأسرع وقت. وأن يضع أسعارها بنفس أسعار حفلات "أريمني توفللي". وتنتهي المطبعة من إعداد التذاكر، وتبقى مشكلة توزيعها. ويستطرد جورج أبيض قائلاً:

«..» كنت أسمع كثيراً عن تلك المساعدات التى يقدمها السيد "أمين كرم" إلى الأدباء؛ وهو تاجر كبير من تجار الخشب قد توفى أخيراً فى فرنسا!؟ كنت أسمع عن أياديه البيضاء على رجال الفن وأصحاب الأقلام؛ فهممت أن أطرق بابه. وعدت إلى العربة "الحنطور" وطلبتُ إلى الحوذى أن يقودنا إلى "مَغْلَق" الخشب الكبير بالمكس. ودخلت "المَغْلَق" لأجد السيد "أمين كرم" مجتمعا ببعض زملائه من التجار الأجانب؛ وقدمتُ نفسي إليه، فرحب بي دون أن يعرف سبب زيارتي.. وتركنى الرجل لحظات يُنْهِي فيها عمله مع زائريه؛ ثم جاء يستوضحني سبب الزيارة.. وبهدوء - وفي إيجاز - شرحتُ للرجل القصة كاملة؛ وكيف أننى أكافحُ فى سبيل النهوض بالفن المسرحى فى مصر!".

**المسرح كله:**

■ **ونظر الرجل إلى "جورج أبيض" وعلى شفتيه ابتسامة هادئة ثم قال: إنى لا أرى بأساً فى مساعدتك.. كم تذكرةً أحضرتها لنا؟**

فقال له "جورج" بهدوء: المسرح كله!

■ **فصاح "أمين كرم" فى دهشة بالغة متسائلاً: المسرح كله؟!**

ورَقَّتْ نظراتُ الرجل نحو "جورج أبيض"؛ واحتلت شفتيه ابتسامة مشرقة ومد يده ليتناول من "جورج" رزمة التذاكر كاملة.. وخرجا معاً، وركبا عربة "الفيتون" الفاخر بصحبة مساعده السيد "غريغورى قريصاتي" وتوجها إلى البورصة. ودخلوا إلى المبنى المالى الكبير، فقال لى السيد "أمين كرم":

■ **ابقَ هنا وأشربْ كأساً حتى أعود إليك.**

وغاب السيد "أمين" قليلاً داخل المبنى ثم خرج ليقول له:

■ **لقد بعنا لك التذاكر كلها.**

لقد أبى الرجل الكريم إلا أن يلجأ إلى أصدقائه الكبار الماليين من أمثال السيدين "قرداحي" و"سرسق"، فتقاسموا الثلاثة معا توزيع التذاكر فيما بينهم.

**يوم خالد فى تاريخ جورج أبيض:**

وجاء اليوم المشهود.. يوم إحياء الحفلة المسرحية التى قدِّمتْ فيها مسرحية "برج إيفل". ولم تكن هذه المرة الأولى التي يقوم فيها "جورج أبيض" بتمثيل دور "بريدان" في هذه المسرحية؛ فقد سبق أن قام بتمثيلها فوق خشبة "مسرح عباس" بالمنشية عام ١٩٠٢ بعد زيارة "أريمني توفيللي" للثغر؛ ويذكر أنه يومها نجا من الموت بأعجوبة. فقد كان يؤدى إحدى بروفات المسرحية حين هوت على الأرض نجفة المسرح الضخمة. وكان مقدرا لـ"جورج أبيض" أن يروح ضحيتها؛ لو لم ينهض من مكانه فجأة وبغير سبب منطقي إلا إيحاء الحاسة السادسة.

ووقف الفنان الكبير فوق خشبة المسرح ليقدم المسرحية أمام الخديو عباس؛ ورئيس وزرائه وكبار الشخصيات. ومثل ليلتها - وفقا لرأي النقاد ومؤرخي الفن - كما لم يمثل فى حياته من قبل! فقد أشعل فى نفسه الحماس بأن أمنيته في طريق التحقق؛ كما كان التصفيق المتصاعد من قاعة المسرح كافياً لأن يلهب شعور كل من وقف فوق خشبة المسرح.

وما إن أسدل ستار الفصل الثالث، ودخل حجرته ليستبدل ملابسه ويعيد وضع الماكياج حتى فتح باب الحجرة، ودخل "أحمد زكى باشا" وقال لـ"جورج أبيض" بهدوء:

■ **حضر حقائبك.**

كانت هاتان الكلمتان: "حضر حقائبك" جواز المرور إلى دنيا الأمل في حياة جورج أبيض. "(...) لقد نجحتُ إذن! - يستطرد "أبيض" قائلا - وما هذه العبارة إلا مكافأة جاءتْ قبل أوانها قبل إسدال الستار النهائي.. "حضر حقائبك" إذن فباريس فى طريقي.. ومعهدها فى انتظاري والمجد فى غدي!"

**الاستقالة:**

عندما عاد فنانا جورج أبيض إلى المسرح ليكمل المسرحية؛ أحس أنه إنما انتقل على "طنافس من حرير".. وجاءت كلمات زملائه إلى إذنيه رقيقة ناعمة كأنها همس الملائكة.. وهبط الستار للمرة الخامسة.. ودوى فى القاعة تصفيق مدوٍ وخرج "أبيض" وهو يسير بين الناس فلا يشعر بمن حوله.. ولا يسمع إلا كلمتان: "حضر حقائبك!"

وفى اليوم التالى قدم جورج أبيض كتابة استقالته.. وقام أحمد شفيق باشا رئيس الديوان بزيارته بناءاً على طلب من القصر، وسأله الرجل: " كم يكفيك في الشهر؟"

ولما كان "جورج" يعرف فى الخديوي الحرص الشديد.. الحرص الذى قد يصل إلى حد البخل فقد أجاب رئيس الديوان قائلا:

■ **ثمانية جنيهات ذهبية تكفيني شهراً كاملاً!**

وكان هذا المبلغ أقل القليل.. ولكن "جورج" رضي به خشية أن تحول المادة بينه وبين تحقيق أمله في السفر.. وقال لنفسه:

■ **"من رضي بقليله سافر.."**

وسافر جورج أبيض فعلاً من الإسكندرية.. إلي باريس يوم ١٩ يوليو ١٩٠٤ ليبدأ رحلته إلى بلد النور.. والجمال والفن..

**جورج أبيض فى فرنسا:**

رست السفينة بميناء "مارسيليا".. ومنها استقل جورج القطار إلى باريس فى ٤ أغسطس من عام ١٩٠٤.. وعندما نزل إلى ميدان المحطة؛ لم يجد فارقا بين ما يرى أمامه وما سبق أن رآه بميدان محطة الإسكندرية. وأدرك أن جميع بلدان العالم تتشابه فى هذا السبيل، حتى عربات الحنطور كانت تصطف في انتظاره، فاختار منها واحدة مثلما كان يفعل في الإسكندرية من قبل.

لكنه أحس بالانقباض لما رأى المدينة تُخيِّمُ عليها الغيوم. وكان أحد أصدقائه بالإسكندرية قد أعطاه عنوانا للسُكنى لدى عائلة فرنسية فقدمه للسائق طالباً منه التوجه إليه. وعندما تمر العربة على كوبرى "أوسترليتز" يبرز من خلف السحاب شعاع مختنق؛ يتأمله الشاب متفائلاً وهو يردد ما قاله "نابليون" ذات يوم لجنوده:

■ **أيها الجنود.. ها هى ذى أشعة النصر فى سماء "أوسترليتز".**

ومما يُذكر أن نابليون قد انتصر فى هذه الموقعة على قوات روسيا والنمسا فى الأول من ديسمبر سنة ١٨٠٥؛ فاشتهرت فى التاريخ بموقعة الأباطرة الثلاثة. يكتشف السائق أن راكبه خفيف الروح؛ فيتحدث إليه سائلا عن بلده وعن بغيته. وسرعان ما يقبض الشاب على دفة الحديث محاولاً أن ينتهز الفرصة ليتعرف على باريس - بادئا ذى بدء - من هذا الرجل. كان الجو صيفا؛ والمعاهد معطلة؛ ومعظم العاملين فى إجازاتهم السنوية. فبدتْ باريس مدينة خاوية هجرها ساكنوها إلى الشاطئ، فأصاب جورج كل ذلك بشيء من خيبة الأمل.

استقبلته الأسرة الفرنسية - التى كانت تتألف من الزوجين فقط - بالود والترحاب. فاستبشر خيرا بذلك، وبدأ على الفور يعد أوراقه لدخول امتحانات القبول بمعهد "الكونسيرفاتور"، وأمضى أيام الانتظار فى التعرف على "باريس"، وعلى حي "سان جرمان" بالذات. وفى الأسبوع الأول من سبتمبر فتحتْ أبواب "الكونسيرفاتوار" وكان جورج من أوائل المتقدمين للمعهد.

وجاء يوم الامتحانات وقد تقدم معه خمسمائة

طالبًا. كان الامتحان بالطبع يُعْقد فوق خشبة المسرح.. ومن قلب الظلام وسط الصالة سمع صوتا يجهر باسمه: "جورج أبيض".. وحاول أن يتبين صاحب الصوت فلم يستطع.. صعد إلى خشبة المسرح فى خطوات وجلة؛ وقد انتابه الاضطراب؛ وتملكته الرهبة لما انطبع في قلبه من إجلال لهذا المسرح الذى كان يزخر بالكثيرين ممن سبقوه؛ وصاروا أعلاماً فى فنهم.. لكنَّ الظلام الذى جلب إلى نفسه الخوف، هو نفسه الذى عاونه أيضا على أن يكبح جماح نَفْسِه بسرعة؛ ويهيىء له أن يتقمص شخصية دوره الذي تدرب عليه.. ولم يقل جورج سوى جملتين اثنتين حتى أوقفه الصوت الهادر وسط الظلام:

■ **جورج أبيض.. كفى..**

وتوقف الشاب وهو لا يدرى ماذا تعنيه كفى هذه:.. أإعجابٌ أم ازدراء؟"

وكيف تكون أيهما بهذه السرعة.. لكنه لا يملك إلا أن يصمت.. وإلا أن يحملق فى الظلام الذى بدأت تخف حدته؛ ويستأنف صاحب الصوت - وقد بدأت هيئته تشكل كشبح تلمع صلعته فى الظلام:

> يا بني.. لست أنكر ما فيك من مزايا تلائم التراجيديا.. هذه الهيئة المهيبة.. وخطواتك العملاقة.. وتعبيراتك الواضحة التى لا تخلو من براعة.. لكنَّ صوتك لا يصلح للمسرح أبدا.. خذ بنصيحتي؛ واجمع حقائبك؛ وعد إلى حيث أتيت؛ ولا تفكر فى المسرح إطلاقا!"

وثبتتْ عينا "جورج" على إصبعه الممدودة كأنه قاض يصدر عليه حكماً بالإعدام.. ثم ترك خشبة المسرح يجر ساقين خائرتين.. كانت صدمة قوية انهارت بها كل آماله؛ وبددت جهوده الطويلة فى لحظات خاطفة؛ فانسل من بوابة المسرح يستقبل الطريق والدموع تملأ مقلتيه.. وسار لا يدرى من أية وجهة يتخذ طريقه كالضائع يواجه حصارا من حوله.. لكن أحدا لم يحس به.. كما انعدم إحساسه بمن حوله؛ فصار يتخبط يمينا فيحتج بأناس؛ ويتخبط شمالا فيصيح به آخرون؛ لكنه لا يأبه لأى من ذلك.. هى النهاية إذن.. هكذا وبهذه البساطة ينهار كل شىء؟!

وبدأت السماء تمطر رذاذا.. مما اضطره إلى الدخول فى أول محل يقابله. جلس وطلب مشروبًا؛ وصار ينظر إلى باريس من خلف الزجاج الذى انسابت عليه حبات المطر نظرة امتنان وتعاطف. كان حينذاك في الرابعة والعشرين من عمره، السن التى ينعم فيها الشباب بمباهج الحب والحياة. لقد تنازل عنها كلها ووهب حياته للمسرح؛ وها هو ذا ينتهى من حيث بدأ.. إلى لا شىء..

يصل "جورج" أخيراً إلى حجرته فيلقى بنفسه على الفراش وينفجر باكيًا ينعي حبَّه الذي وهبه المسرح وعمره الذى ضاع.. ويظل مستلقيًا هكذا؛ حتى يستغرقه النوم دون أن يخلع ملابسه.. يستيقظ بعد ثبات طويل؛ والعالم فى رأسه مازال يدور.. ينظر إلى المرآة؛ فلا يتعرفُ على نفسه؛ ويدعك جبهته بشدة مستنكراً ما يراه وهو يحدث نفسه مهدداً متوعداً: "إما أنا أو هو".

ويعود مرة أخرى إلى الطريق ينفث فى ثورة..

**فى غابة بولونيا:**

ليس من السهل على من يولدون فى عشقهم للمسرح ويشبون بين ربواته؛ أن يستسلموا للهزيمة بعد أول نزال.. وقد انقضى بعض الوقت حتى استطاع "جورج" أن يفيق من صدمته ثم شرع ينفذ خطته التى قر قراره عليها..

اشترى كتابا فى "فن الإلقاء"، كان يُعد من أشهر الكتب فى هذا المجال حينذاك، وجمع رفاقه الذين اخفقوا فى اجتياز الامتحان وأصابهم ما أصابه، ليذهبوا جميعا إلى غابة "بولونيا" وهى غابة ضاربة في القدم، وتدين بشهرتها لنابليون الثالث الذى مَلَّكَها لبلدية باريس ومنحها مليون فرنكا لتحسينها؛ وانشئت بها الحدائق على نفس نمط "هايد بارك" بلندن، وهناك اختارت الجماعة مكانا

خلوا من المارة ووضعوا خطة للإخراج بعد أن أحضروا إحدى المسرحيات ووزعوا أدوارها عليهم، وصاروا يقسمون أنفسهم إلى فريقين؛ يقف كل فريق فى ناحية ويبدأون الإلقاء، ثم يبتعدون شيئاً فشيئاً ويعيدون الأداء، يدربون أنفسهم على طريقة الوقف ومدته؛ وعمق الصوت؛ ومخارج الألفاظ؛ وطول الجمل وقِصرها؛ وتقوية الذاكرة والحركة المدروسة. وكان شركاؤه جميعهم من الفرنسيين؛ وكان "جورج" وحده الأجنبيَّ فيما بينهم.. لكنَّ إجادته اللغة الفرنسية وتأقلمه السريع، خفف كثيراً من حدة الموقف الذي وجد نفسه فيه باعتباره الأجنبي الوحيد.

على أية حال كانت صحبة مرحة.. جمعهم الشباب والهواية ورقة المشاعر وعشقهم للمسرح؛ فجعل كل هذا منهم فريقاً متجانساً. كانت من بينهم فتاة تُدْعَى "بلانش"، تميزت بجمالها الحالم ورقتها الآسرة وطبعها المرح. كانت تبدو لمن يراها كـ"أوفيليا هاملت" فيما توحى به من مشاعر.. وكانت تعامل الجميع بمودة ظاهرة، لكنها منحت جورج إهتماما خاصًا؛ ورأتْ فيه فارسها القادم من بلاد الشرق على بساط سحرى؛ أما فارسها فلم يكن لديه حينذاك ما يعطيه إياها أو غيرها وقد وهب المسرحَ كلَّ ما عنده.. وكان الرفاق يذهبون معا بعد الانتهاء من تمرينهم اليومي للتنزه ومشاهدة الوافدين إلى الغابة؛ المترفين الممتطين خيولهم؛ وعامة الشعب راجلين هم وأولادهم يسيرون على أقدامهم. كانت الغابة متنفسهم جميعاً. ولم تكن هذه المناظر تشد "جورج" أيضا بالقدر الكافي؛ فكان يفضل أن يبقى وحده والكتابُ فى يده؛ وتبقى الفتاة إلى جواره ترقبه فى صمت؛ وترفع خصلات شعره المجعد كلما انسابتْ فوق جبهته؛ فقد ارتضتْ لنفسها أن تلازمه؛ وأن تذعن لطبعه؛ أما هي فكانت تحب فيه الغموض والرجولة وتأنس بجواره؛ على أنه كان يعتريه أحياناً بعض الألم لما كانت تحسه من انصرافه عنها.. ولم يكن ذلك على أية حال سبيله دائماً؛ فقد يحدث من وقت لآخر أن يتحسس أناملها عن غير قصد.. وقد يحدثها حيناً عن أوجه الشبه بينها وبين "أوفيليا"، وكانت هذه اللفتات الصغيرة تحدث فى نفسها أثراً جميلاً.

ومرت على علاقة الشاب والفتاة أشهرٌ قاربتْ العام، ولم تتطور العلاقة بينهما عما ابتدأت به من صداقة وفورة لا تعرف السبيل إلى العواطف المشبوبة.. مما زاد الفتاة أسفاً واستسلاماً.

على أنهما بالرغم من ذلك؛ لم يعدما لحظات سعيدة تومض فى حياتهما نوراً ودفئاً؛ مثلما كان يحدث فى تلك الأمسية؛ عندما كان يتنزهان على ضفاف نهر "السين" وقد تشابكتْ أياديهما.. كان جورج مرحًا مبتهجًا على غير عادته ودون مسوغ ظاهر؛ كمن واتاه الحظ بغتة فأسكره بنشوة فياضة. وفى هذه اللحظات يتوقف طربه فجأة؛ ليوسد وجهها بين راحتيه ويجعل من عينيها مرآة لعينيه؛ وتضطرب الفتاة وتتلاحق أنفاسها، وتعربد الفرحةُ فى صدرها وهى تقول لنفسها: "إن الله قد من عليه أخيراً بالشفاء!".

وطفق الشاب يحدثها عن طموحه وآماله، وهي تنصت إليه متلهفة وقد توقعتْ بعد كل لفظة؛ أنه لا بد منتقل إلى حديث القلب للقلب، لكنه ينهى الحديث فجأة.. ويصل إليها ليقبل مؤخرة أنفها بطريقة خاطفة ثم ينتهى كل شىء؛ وتشعر الفتاة كما لو كان قد قُذِفَ بها من عل.

وعلى الرغم من خيبة أملِها فيه.. إلا أنها أحست بالسعادة تسرى - سريان المخدر - فى أوصالها؛ وتغمض عينيها للحظات لتستبقى هذه المشاعر دفينة بين جوانحها؛ ثم تغلق عليها رتاج قلبها. ومنذ تلك الأمسية المشهورة أدركت الفتاة أنها تحبه بالفعل حباً صادقاً.. وكان لها معه - فيما بعد - عن ذلك كله؛ حديث طويل وصريح.

**مع الأدب الفرنسى:**

خلال الفترة التى عاشها جورج بفرنسا.. كانت

رائحة الحرب العالمية الأولى تفوح بين القديم والمستحدث من نظريات الأدب خاصة والفن عامة؛ وكان جورج أبيض يحب قراءة "فيكتور هوجو" حيث تتكامل شخصيته واتزانه وكرمه وثقته الكبيرة في نفسه.. تلك الثقة التى ربما قد بلغت أحياناً حد الغرور. أما "ألفريد دى موسيه" فكان بالنسبة إليه أديباً ثائراً ضد كل ما يُفْرضُ عليه. كان جورج يعرف السبب الذي من أجله انفصل "موسيه" فيه عن جمعية الأدباء بعد أن كان عضواً فيها؛ ذلك لأنه رفض أن يسير على نهجهم. وقد كان الشعر قبل "دى موسيه" يلتزم بالآداب الاجتماعية الصارمة؛ ثم جاء هو فعمد إلى تصوير المشاعر المشبوبة يصوغها في ألفاظ وتعبيرات لها حرقة النار وعذوبة الماء؛ وهكذا رسم للشعر خطوطاً جديدة؛ وسقاه رحيق الحياة وجذوتها..

وقد انعكس حب "جورج" وإعجابه بهذين الشاعرين فى ترجمته عدداً كبيراً من مسرحياتها وتقديمها إلى جمهور العربية.